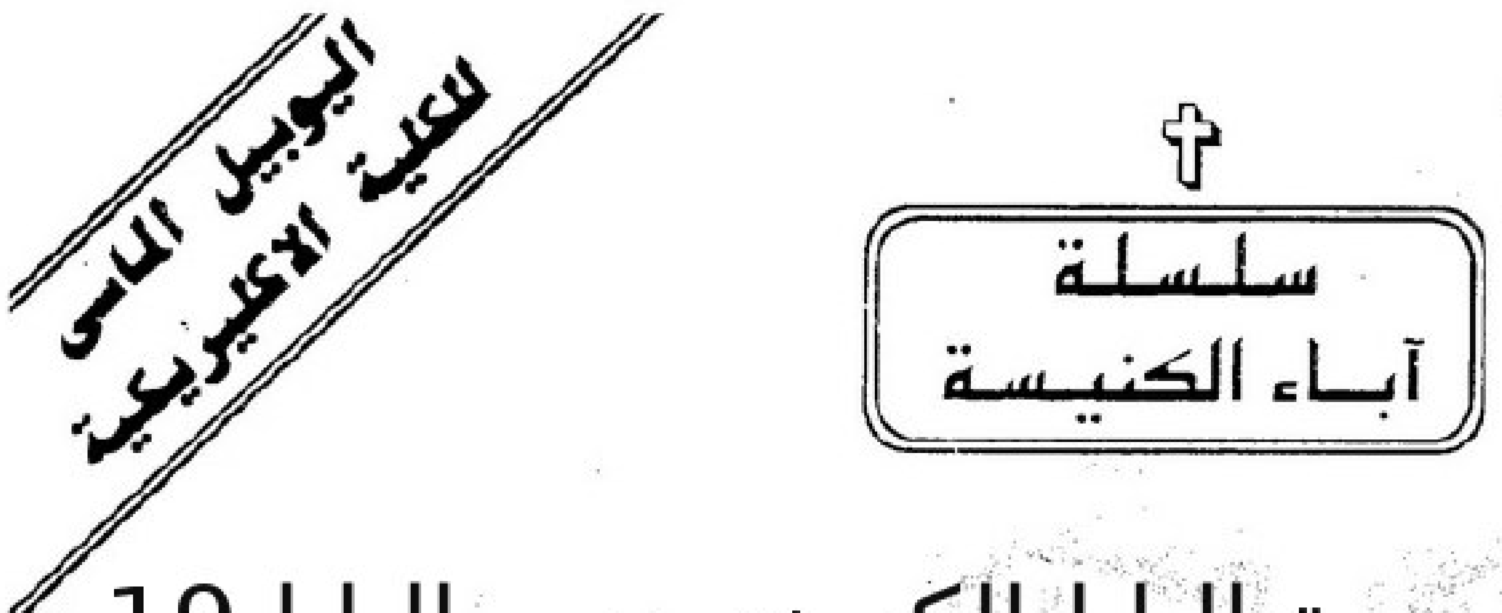


سيرة البابا الكسندروس البابا 19



القمص اثناسيوس فهمي جورج

مقدمة

تعتبر الكنيسة المسيحية الأولى فى العصر الآبائى بمثابة «مدرسة» تتلقى التعليم من فم واحد لمعلم واحد هو «الرب يسوع الرأس»، ولم يكن تلاميذ هذه المدرسة الإلهية مجرد دارسين لتعاليمه عقلياً فقط، بل صاروا شهوداً للأعمال الخلاصية التى صنعها من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، لذلك لقبوا بأنهم تلاميذ وشهود سمعوا ورأوا وشاهدوا ولمسوا وسلموا أفعاله الخلاصية وأقواله المحيية.

ويتناول التعليم اللاهوتى الآبائى إبراز التفسير الرسولى لرسالة المسيح الفادى والمخلص، إذ أن أصل الإيمان المسيحى فى أن يصير كل المسيحيين تلاميذ وشهود للمعلم الأوحد الرب يسوع المسيح الذى منه تُستمد كل أبوة وكل تعليم، لذلك أعطى الله الكنيسة بتدبير الروح القدس أن يكون البعض معلمين لآخرين، وعندئذ تكون طبيعة الكنيسة أشبه بطبيعة «مدرسة»، المسيح فيها هو الذى يعلم ويعطى السلطان لأخرين ليعلموا، يستأمنهم على مهمة التعليم، ليس لأفكارهم ولا لإتجاهاتهم الخاصة، بل لتعليم الحق الإنجيلى الإلهى.

فعلموا الموعوظين طالبى الإيمان وهيئوهم بالتعليم ليستحقوا الدخول إلي شركة الكنيسة بالولادة الثانية من رحم الكنيسة بالمعمودية، وليحق لهم التقدم لجسد الرب ودمه الإفخارستى، وسلموا أعضاء الكنيسة «التلاميذ الجدد للرب» موهبة الحق، لتكون الكنيسة كلها حارسة للتقليد.

وعندما نأتى إلى تاريخ باباوات الكنيسة الذين جلسوا على كرسى التعليم الصحيح واقتنوا موهبة الحق، نجدهم متمسكين بالوصية الإنجيلية حافظين الوديعة الإيمانية الخلاصية، معلمين المعرفة الإلهية فى تسليم حى لا ينفصل عن العمل الرعوى المتكامل، مؤكدين على أن كنيستنا كنيسة كرازة ورعاية، كنيسة توبة وعلم، كنيسة نسك وخدمة، كنيسة شركة وشهادة ، كنيسة صلاة وطهارة

وبركة....كنيسة يعمل فيها روح الحق الناطق فى الأنبياء والرسل والآباء بفهم شامل للحق الإلهى الذى يقودها من مجد إلى مجد، لتقدم التعليم السليم فى إطار المحبة المسيحية وضمان الشركة والتمييز... فلم يعوز أباءها المعرفة اللاهوتية الصحيحة بل كانوا معلمى المسكونة، ولم تنقصهم المحبة والتسبيح فصاروا آباء وقديسين، ولم يتركوا موهبة الحق فحفظوا الإيمان القويم بعيداً عن التشويش والإنحراف.

صاغوا قانون الإيمان النيقاوى والتزموا بقانون العبادة الليتورچية التى عاشوها ووضعوا بنيتها بمقاييس إيمانية لاهوتية وبمعرفة إنجيلية وبخبرة الجهاد والحياة، فأضاء الله عليهم بنور علمه الإلهى، وأنعم عليهم بمعرفة الروح القدس الحقيقية.

وخلال (إكثوس) نقدم صفحة من صفحات تاريخ بطاركة الاسكندرية خلفاء مارمرقس الانجيلى الشاهد لآلام وأعمال المسيح الخلاصية، الذى أختاره مخلصنا ليكون رئيس الكهنة الأول وعمود هذا الكرسى، عاهداً إليه بعمل الكرازة بالإيمان فى كل كورة مصر، فهو المؤسس والحارس لكل الذين شغلوا هذا الكرسى الرسولى الكهنوتى بالتتابع، لم يكن خلفاً لأنسان بل ليسوع رئيس كهنة الخيرات العتيدة.

نقدم ضمن سلسلة آباء الكنيسة (إكثوس ΙΧΘΥΣ) سيرة الطوباوى البابا الكسندروس خليفة القديس مرقس الرسول الـ ١٩ فى عداد باباوات كنيستنا المقدسة، الذى تألقت فيه البنوة والأبوة، بنوته للبابا بطرس خاتم الشهداء الـ ١٧، وأبوته للبابا أثناسيوس الـ ٢٠ خليفته.

وقد قاوم القديس الكسندروس الأريوسية فى بصيرة وحزم حتى لا تكتسح العالم فجاءت سيرته وجهاداته مديح لا تقوى الكلمات على وصفه، أنها دعوة لنغمر أنفسنا فى حياة الكنيسة المفعمة بالفرح الروحى غير الفانى وبالتوبة

السرائرية المحيية للنفس وبالتمتع بغنى العبادة وذخم الطقس، وفى اتضاع التلمذة وشجاعة الإيمان وأمانته.

إننا لسنا أهلاً أن نتشفع فى طوباوية أولئك القديسين، بل نترجى بركتهم وصلواتهم عنا ليعيننا الرب كما أعانهم... أما أولئك الآباء الذين يعيشون بيننا فبنوتنا لهم بارة.

وأخص بالشكر كل من تعب فى صدور هذه السلسلة الآبائية. وخاصة نيافة الأنبا أنطونى ومجمع أباء ايبارشية أيرلندا واسكتلندا وشمال شرق انجلترا، الذين شجعونى على إعادة نشر إصدرات إكثوس.

وليعوض المسيح إلهنا كل من له تعب بالبركات السمائية غير الفانية بصلوات البابا الكسندروس صاحب هذه السيرة، وببركة خليفته الثامن والتسعون البابا شنوده الثالث حارس الايمان فى زماننا هذا ولربنا المجد والاكرام.

الخماسين المقدسة

٢٠٠٥م

Dublin -Ireland

سيرة البابا
الكسندروس الـ١٩

البابا الكسندروس
والقديس بطرس خاتم الشهداء

رأى القديس بطرس البابا الـ ١٧ خاتم الشهداء رؤية قبل استشهاده وعاين فيها أرشيلاوس والكسندروس البطريركين الآتيين من بعده... لذلك قال لهما بعد هذه الرؤية :

«لا تظنا أيها الأخان أرشيلاوس والكسندروس أنى قاسى القلب أو عنيد، لكن صدقونى أن خداع أريوس يفوق كل كفر ويعلو كل شىء. إنى أؤكد لكما أنى لا أحرمه من عندياتى، ففى هذه الليلة، إذ وأنا نائم بعد الصلاة، رأيت كأنى واقف فى قلايتى أصلى، وإذا بولد يبلغ حوالى الثانية عشر قد دخل فجأة قلايتى، ولم أقدر على معاينة بهاء وجهه، إذ أبرق نوره العظيم وملأ المكان كله.

كان يرتدى ثوباً كتانياً ممزقاً إلى إثنين، من الرأس حتى القدمين، وقد أمسك بيديه جانبى الثوب، وهو يضمهما إلى صدره ليغطى عريه.

اذ رأيت ذلك إنتابتنى دهشة، ولما تمالكت نفسى صرخت قائلاً له : من الذى شق ثوبك ياسيد؟ أجابنى : آريوس هو الذى شقه، فاحذره تماماً ولا تقبله فى الشركة، وهو سوف يأتيك فلا تحله، وبالحرى أوصى أرشيلاوس والكسندروس الكاهنين اللذين سيجلسان على الكرسى من بعدك آلا يقبلاه. والآن لقد اخبرتكما بما رأيت وبكل ما أمرت به، وصار الأمر بين أيديكما تفعلان ما تشاءان فيه، كونا حذرين واهتما بالقطيع الذى يقيمكما الروح القدس عليه

بالتتابع أنت يا ارشيلاوس أولاً ثم أنت يا الكسندروس من بعده».

البابا الكسندروس بطريركاً للكرازة المرقسية :

جلس البابا الكسندروس على الكرسى المرقسى فى شهر أبيب سنة ٢٩ ش و٣١٣ م فى عهد قسطنطين، وهو من مواليد المدينة المحبة للمسيح الأسكندرية، وقد رسم قساً بها.

وأشتهر هذا القديس بعلمه وتقواه، حتى أن الشعب لقبه بـ «القديس» والفقراء دعوه «أبو المساكين»، ويروى عنه التاريخ أنه ما كان يقرأ قط فى الأنجيل جالساً بل واقفاً والنور أمامه، وأفضل ما أشتهر به غيرته الأمينة على حفظ الإيمان المستقيم ومقاومته للهراطقة ولاسيما الذين أنكروا لاهوت المسيح.

وحاول آريوس خداعه، فقال البابا الكسندروس : قولوا له أوصانى أبى (يقصد البابا بطرس) أن لا أقبلك فلا تدخل إلىّ ولا اجتمع بك وذلك بأمر السيد المسيح، فاعترف للمخلص بكفرك وإذا قبلك فهو يأمرنى بقبولك.

لكن آريوس بفصاحته الشيطانية اجتذب البعض لبدعته، فاسرع القديس الكسندروس لايقاف تيار هذا التلوث الاريوسى، وجمع الأساقفة الموجودين فى الإسكندرية سنة ٣١٩م، وبعد أن فحص تعليم آريوس المضل بأن الإبن مولود من الآب فلا يمكن أن يكون مساو له فى الازلية، حكموا عليه بأن يقلع عن هذا الانحراف واجتهدوا فى الرد على هذا الضلال ووقع على الحكم ٣٦ كاهناً و٤٤ شماساً.

ولما لم يستجب آريوس، رأى البطريرك الكسندروس أن يعقد مجمعاً ثانياً مؤلفاً من مائة أسقف سنة ٣٢١م وحكم بقطع أريوس من الكهنوت وحرم بدعته ومن يتبعه، ووقع الأساقفة ما عدا أسقفين و ١١ شماساً، فقطعهم البطريرك وصدق على قرار المجمع المقدس.

وحاول آريوس أن يستعين بألكسندرس أسقف القسطنطينية، لذلك كتب له

البابا الكسندروس السكندرى رسالة يشرح فيها تفاصيل بدعة أريوس وأتباعه الذين ينكرون لاهوت مخلصنا ويقولون أنه مخلوق.

ولم يرضخ آريوس للحكم، بل كون حزباً إبليسياً حتى اضطر البطريرك أن يطرده من الإسكندرية هو والأسقفين المذكورين وشماسين.

وقيل أنه كان ينشر بدعته بواسطة التلحين لما للصوت من تأثير فى النفس، وضع كتاب مرنم أسماه «ثاليا» ووضع فيه سمومه الهرطوقية موقعة على الآلات الموسيقية، الأمر الذى جعل البابا الكسندروس يكتب رسائل إنجيليه إلى أساقفة الكنائس يوضح فيها الأسباب التى حملته على حرم آريوس وقطعة من شركة المؤمنين.

وقام تلميذ البطريرك السكندرى الشماس أثناسيوس بكتابة المنشور السنوى ضد بدعة آريوس وبين أن تعليمه يأول إلى تعدد الألهة وقياس غير المحدود بمقاييس بشرية.

البابا الكسندروس والبابا أثناسيوس الرسولى :

يحكى روفينوس[١]. المؤرخ أن الكسندروس بابا الإسكندرية كان فى يوم من الأيام مطلاً من نافذة الدار على البحر، فرأى صبية يلعبون على الشاطىء، ولما تحقق من حركاتهم وجدهم يقومون بطقس العماد الكنسى، فأخذ يلحظهم بشغف، وأستدعاهم وكان ذلك بحضرة بعض الأكليروس، ولما تحدث معهم علم أن الصبى أثناسيوس هو الذى كان يقوم بدور الأسقف فى العماد، وقام فعلاً بعماد بعض الأولاد بكل مستلزمات الطقس، وبعد مباحثات مع الأكليروس اعتبر البابا الكسندروس أن هذا العماد سارى المفعول واحتفظ بأثناسيوس عنده.

وكان أثناسيوس فى خدمة البابا الكسندروس كإبن له وسكرتير وتلميذ، تلك الوظيفة والعمل الضخم المتعدد المسئوليات، فى الوقت الذى كان فيه بابا

الإسكندرية يرأس مائة أسقف فى مصر وليبيا والخمس مدن الغربية.

ويعتبر سوزومين [٢]. أن هذه القصة هى المدخل الذى بدأ منه أثناسيوس تدرجه فى المراتب الكنسية.

ويرجح المؤرخ دين ستانلى[٣]. صدق قصة أول لقاء للبابا الكسندروس مع الصبى أثناسيوس الذى صار فيما بعد شماساً له فبطريركاً.

ويقول القديس كيرلس عمود الدين فى خطابه إلى رهبان مصر «إن أثناسيوس كان يعيش مع أبيه تحت سقف واحد وكان محبوباً من الجميع بسبب حلاوة صفاته».

والذين شهدوا المعونة الفذة التى ادخرها الله للكنيسة وللبابا الكسندروس، رأوها مجسمة فى صلابة البابا الكسندروس أمام شراسة آريوس، رأوها مجسمة فى التلمذة والتسليم بداية من بطرس خاتم الشهداء مروراً بالقديس الكسندروس قائد مجمع نيقية بلوغاً إلى أثناسيوس الذى وهو بعد شماس استطاع أن يصد عن الكنيسة جنون آريوس مسانداً أبيه ومعلمه، بروح واعية واحساس متكامل بحقيقة المسيح ووجوده الازلى مع الآب.

لقد رافق أثناسيوس رئيس شمامسة الإسكندرية أبيه ومعلمه البابا الكسندروس وقت أن كان أثناسيوس تلميذاً وسكرتيراً له، رافقه إلى نيقية، وكان أعظم المرافقين للأساقفة.

وهناك فى نيقية دحضت بدعة أريوس الشرير وحرمت تعاليمه وصيغ قانون الإيمان الإرثوذكسى.

وبعدها رجع البابا الكسندروس إلى الإسكندرية مقر كرسيه وسط فرح الشعب وسرور الاكليروس والشمامسة.

نياحة البابا الكسندروس :

ارتضى البابا الكسندروس بسرور أن يقاوم حتى الموت ضد الهرطقة الأريوسية، وكم من المحن والمعاناة والخيانات أحتملها هذا الشيخ الطوباوى مقاوماً الأرواح المضلة، ونادى بالإيمان والشهادة التى لا تنفصل عن العبادة والأمانة بل والمحبة، حتى استراحت نفسه بالإيمان النيقاوى، فتنيح بعد خمسة أشهر فقط من ختام جلسات نيقية، ليبدأ تلميذه أثناسيوس جهاده ضد الأريوسية.

ويُحكى أن البابا الكسندروس وهو فى سكرة الموت الاخيرة، وكل الأكليروس مجتمعون حوله لنوال بركته الوداعية، بدأ ينادى «أثناسيوس أثناسيوس» ولكن لان أثناسيوس كان يخشى هذه اللحظة وما يمكن أن يكون من مسئوليات، هرب، فلما كرر البابا نداءه، رد عليه أحد الأكليروس من الواقفين وكان يدعى أثناسيوس أيضاً، فاستنكر البابا رده وأخذ ينادى، ولكن عندما تحقق من عدم وجوده، قال : «وهل تظن أن بهروبك يمكنك أن تفلت... لا يمكن».

ورقد فى الرب وانضم إلى موكب السمائيين فى ٢٢ برموده سنة ٤٣ للشهداء فى الصوم الفصحى الموافق ١٧ إبريل، بركة صلواته وطلباته وصلوات أبينا البكر مارمرقس الرسول تكون معنا آمين.



كتاباته

(١) الرسائل :

يذكر أبيفانيوس[١]. أنه كانت هناك مجموعة تضم نحو ٧٠ رسالة كتبها القديس الكسندروس، بيد أنها قد فُقدت جميعها عدا رسالتين مسكونيتين هامتين جداً تتحدثان عن الجدال الأريوسى.

أ - حفظ لنا ثيودورت[٢]. أسقف قورش Theodoret of Cyrus فى تاريخه الكنسى رسالة إلى «الكسندر أسقف مدينة بيزنطة»، والتى أرسلت إلى كل الأساقفة خارج مصر لتحذرهم من أريوس وأتبعه فى حالة ما اذا ذهب أى منهم إلى أحدى أيبارشيات هؤلاء الآباء الأساقفة، ولابد أنها قد كُتبت نحو عام ٣٢٤م بعد الإدانة الأولى لآريوس فى مجمع الإسكندرية المكانى، وقد قدمنا فى الفصل التالى عرضًا وافياً لهذه الرسالة القيمة وتوضيحاً لأهم الأفكار اللاهوتية التى وردت بها.

ب - ويقدم لنا سقراط[٣]. أثنين٧٠ : ٠[٤]. Socrates and Gelasius Cyzicus

لكسندروس كيف افتقد الله خليقته التى صنعها على صورته كشبهه، الكنيسة الجامعة فى كل مكان» ويبدو أنها كتبت نحو عام ٣١٩م قبل الرسالة التى أوردها ثيودورت، وهى تقدم لنا بدايات الجدال الأريوسى، ذلك أن يوسابيوس أسقف نيقوميدية Eusebius of Nicomedia والمندوب الأمبراطورى اشتركا مع المرتدين وأخذا على عاتقهما أن يكتبا رسائل إلى كل مكان من أجل نشر البدعة، ففى مثل هذه الظروف، شعر البطريرك السكندرى أنه مطالب بالدفاع عن الإيمان وأنه ملزم بعدم السكوت.

ج - كذلك وجُدت هذه الرسالة التى حفظها سقراط وجيلاسيوس فى بعض المخطوطات التى تضم أعمال أثناسيوس تحت عنوان «خلع أريوس وأتباعه

وفيها نجد النص مسبوقاً Καθαιρεσισ Αρειου και των συν αντω برسالة من الكسندروس إلى إكليروس الإسكندرية ومريوط يطلب منهم فيها أن يوقعوا على الرسالة الخاصة بخلع أريوس، وقد ترجمنا هذه الرسالة ترجمة كاملة فى الفصل التالى لما فيها من منفعة وأهمية، خاصة معرفة أسماء الأباء مستقيمى الإيمان وأيضاً معرفة الهراطقة المنحرفين.

(٢) العظات :

لم يصلنا من عظات هذا البطريرك العظيم إلا عظة واحدة فقط وقد وصلتنا فى ترجمتين سريانية وقبطية وهى عن «النفس والجسد وآلام الرب "De Anima et Corpore deque Passione Domini" .

وتتحدث فى المقدمة عن العلاقة بين النفس والجسد، ثم يتناول الجزء الأساسى منها ضرورة وثمرة آلام الرب... وهى عظة قوية فى بلاغتها وبيانها، ومتأثرة فى فكرها ولغتها بعظة ميليتو$ أسقف ساردس المكتشفة حديثاً والتى تتحدث عن آلام الرب (٥)، وقد عرضنا هذه العظة فى الفصل التالى.

أما عظاته الأخرى فلم يصلنا منهما إلا شذرات ضئيلة قبطية وسريانية.

$ انظر الفصل الخاص بميليتو أسقف ساردس فى كتاب «القديس يوستين والآباء المدافعون» ضمن سلسلة آباء الكنيسة، والذى تجد فيه أيضاً تحليلاً لهذه العظة.

رسالة مسكونية[1]

الكسندروس يرسل تحياته فى الرب إلي شركائنا فى الخدمة المحبوبين والموقرين خدام الكنيسة الجامعة فى كل مكان.

(١) طالما أن جسد الكنيسة الجامعة هو واحد، وقد أُوُصى فى الكتاب المقدس أن نحفظ رباط الوحدانية والسلام، لذا لابد أن نكتب ونخبر بعضنا البعض بالأمور التى يصنعها كل منا، كى سواء كان العضو يتألم أو يفرح، نتألم أو نفرح جميعاً معاً.

لقد ظهر فى أيبارشيتنا، منذ وقت ليس بالطويل، أناس بلا ناموس، أعداء للمسيح، معلمين الناس أن يرتدوا، وهو أمر يجب أن يشك المرء فى أنه النذير بضد المسيح ويسميه هكذا، وقد تمنيت أن انهى هذا الامر فى صمت، عسى أن لا ينتشر الشر إلا فى قادة هذه البدعة فقط، وعسى أن لا تنتشر فى أماكن أخرى ولاتدنس ولا تلوث آذان الناس الأكثر بساطة فى الذهن.

لكن يتخيل يوسابيوس أسقف نيقوميدية Eusebius of Nicomedia أن كل الأمور الكنسية متروكة له، لأنه بعد أن ترك Berytus والقى نظره على كنيسة النيقوميديين، ولم يُوقع عليه أى عقاب، صار رئيساً لهؤلاء المرتدين، وأخذ على عاتقه أن يكتب إلى كل مكان مادحاً فيهم (أى فى الهراطقة)، كى بأى وسيلة يضل بعضاً من هؤلاء الذين يجهلون هذه البدعة المخزية المضادة للمسيح، صار من الضرورى علىّ، اذ أعرف ما هو مكتوب فى الناموس، أن لا أصمت فيما بعد، بل أعلن لكم جميعاً، كى تعرفوا أنتم أيضاً هؤلاء الذين أرتدوا، وأيضاً (تعرفون) الكلمات البائسة التى لبدعتهم، وكى إذا كتب يوسابيوس لا تعيروه أهتماماً.

(٢) لأنه، إذ يريد بمساعدتهم أن يجدد شر ذهنه القديم، الذى كان صامتاً عنه لفترة ما ، يتظاهر بأنه يكتب مؤيداً لهم، لكنه يثبت بعمله هذا أنه يصنع ذلك لمصلحته ومنفعته الخاصة.

والمرتدون من الكنيسة هم :

أريـــــــوس	Arius
آشـــيلليس	Achilles
ايثـــاليس	Aithales
كـــاربونيس	Carpones
اريوس الاخر	the other Arius
سـارمـاتيس	Saramates

الذين كانوا قبلاً كهنة :

يـــوزيـــوس	Euzoius
لوسـيـــوس	Lucius
يوليـــــوس	Julius
مـــــيـناس	Menas
هيـــلاديوس	Helladius
غـــــايوس	Gaius

الذين كانوا قبلاً شمامسة، ومعهم :

سـيكندوس	Secundus
ثيـــؤناس	Theonas

الذين كانوا قبلاً أساقفة

أما الكلمات التى ابتدعوها والتى تخالف فكر الكتاب المقدس فهى :

«الله لم يكن دوماً الآب، لكن كان هناك وقت لم يكن الله فيه الآب.

كلمة الله لم يكن موجوداً دائماً Was not always بل صُنع (خُلق) «من أشياء ليست موجودة» (من العدم) لأن الله صنع غير الموجود من غير الموجود Fashioned the non-existing from the non-existing لذلك كان هناك وقت لم يكن فيه (الإبن) موجوداً، لأن الإبن هو شىء مخلوق a thing created وشىء مصنوع a thing made، وهو ليس مثل الآب فى الجوهر، ولا هو الكلمة الحقيقي والطبيعى للآب، ولا هو حكمته الحقيقى، لكنه أحد الأشياء التى شكلها وصنعها، ويُسمى ـ عن طريق الخطأ فى استخدام الكلمات والالفاظ ـ الكلمة والحكمة، لأنه هو نفسه مصنوع (مخلوق) بواسطة كلمة الله الحقيقية، وبواسطة الحكمة التى فى الله، اذ فيها كما صنع الله كل الأشياء الأخرى، كذلك صنعه هو أيضاً.

لذلك هو بطبيعته متغير ومتبدل، تماماً مثل الموجودات الآخرى العاقلة.

الكلمة أيضاً مختلف ومنفصل عن جوهر الله، والآب يفوق الوصف بالنسبة للإبن (أى حتى الإبن لايعرفه) لان الكلمة لا يعرف الآب معرفة كاملة دقيقة، ولا يستطيع أن يراه بالكمال، فالإبن لا يعرف جوهره هو على حقيقته، وقد خُلق من أجلنا، كى به كما بأداة، يخلصنا الله، ولم يكن ليوجد لو لم يرد الله أن يخلقنا.

وسألهم البعض عما اذا كان ابن الله يمكن أن يتغير كما تغير الشيطان، فخافوا أن لايجيبوا بأنه يمكن أن يتغير، طالما هو مصنوع ومخلوق، اذاً هو من طبيعة متغيرة» .

(١) وإذ يقول أتباع آريوس هذه الأمور وبلا خجل يتمسكون بها، لذا نحن، مجتمعين مع أساقفة مصر وليبيا نحو ١٠٠ أسقف، قد حرمناهم مع أتباعهم.

لكن أتباع يوسابيوس أستلموها (أى هذه التعاليم الفاسدة)، ويحاولون بدهاء ومكر أن يخلطوا الباطل بالحق، عدم التقوى بالتقوى، لكنهم لن يغلبوا، لأن الحق هو الذى يغلب وينتصر، ولا توجد شركة للنور مع الظلمة، ولا اتفاق للمسيح مع بليعال (٢ كو ٦ : ١٤) لأنه من ذا الذى سمع قط هذه الأشياء؟ أو من ذا الذى لا يندهش وهو يسمعهم الآن؟ أو لا يسد أذنيه كى لا يمسهما دنس هذه الكلمات؟

من ذا الذى يسمع يوحنا يقول «فى البدء كان الكلمة»(يو ١ : ١) ولا يدين هؤلاء الذين يقولون أنه كان هناك وقت لم يكن هو موجوداً فيه؟ من ذا الذى يسمع كلمات الإنجيل «الإبن الوحيد» (يو ١ : ١) و «كل شىء به كان» (يو ١ : ٣) ولا يبغض هؤلاء الذين يقولون أنه أحد الأشياء المخلوقة؟

لأنه كيف يكون هو (أى الإبن) أحد الأشياء التى صنعها هو (أى الابن)؟ أو كيف سيكون هو «الإبن الوحيد» الذى ـ كما يقولون ـ يُحسب مع الباقى كله (باقى المخلوقات)، إذا كان فعلاً شىء مخلوق؟

وكيف يكون مصنوع من أشياء ليست موجودة، عندما يقول الآب «فاض قلبى بكلمة صالحة» (مز ٤٥ :١)$ و «من رحم الفجر لك طلُّ حداثتك» (مز ١١ :٣، عب ١:٥)؟ كيف يكون مختلف عن جوهر الآب وهو الصورة الكاملة للآب وهو بهاؤه الذى يقول «الذى رآنى فقد رأى الآب» (يو ١٤:٩)؟

$ النص الأصلى للآية : «فاض قلبى بكلام صالح».

كيف، اذا كان الأبن هو كلمة أو حكمة أو عقل الله، كان هناك وقت لم يكن فيه موجوداً؟ أن ذلك يعنى تماماً كما لو كانوا يقولون أنه كان هناك وقت كان اله فيه بدون عقل أو حكمه، كيف يمكن أيضاً أن يكون متغير ومتحول وهو الذى يقول بنفسه «أنا فى الآب و الآب فىَّ» (يو ١٤ : ١٠) و «أنا والآب واحد» (يو ١٠ : ٣٠)، و(يقول) بالنبى❖ «أنا الرب لا أتغير» (مت ٣ : ٦)؟

لأنه رغم أن أحد الأقوال ربما يشير إلى الآب نفسه، إلا أنه سيكون من المناسب أكثر أن يُقال عن الكلمة، لأنه عندما تأنس لم يتغير، بل كما يقول الرسول «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣ : ٨).

من ذا الذى أقنعهم أنه من أجلنا خُلق، رغم أن بولس يقول «الذى منه وبه وله كل الأشياء»؟

(٤)ونحن لا نتعجب من تأكيداتهم المجدفة التى تقول أن الإبن لا يعرف الآب معرفة كاملة، لأنهم إذ قد عزموا فى اذهانهم أن يشنوا حرباً ضد المسيح، يطعنون أيضاً فى كلماته هذه «كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب» (يو١٠ :١٥)، لذلك لو كان الآب لا يعرف (الإبن) إلا معرفة جزئية، لكان من الواضح أن الإبن لا يعرف الآب معرفة كاملة، لكن اذا كان التحدث بهذا الكلام امراً شريراً، وإذا كان الآب يعرف الإبن معرفة كاملة، اذاً من الواضح أنه كما أن الآب يعرف كلمته، كذلك أيضاً الكلمة يعرف أباه والذى هو (أى الإبن) كلمته (أى كلمة الآب).

(٥) وبذكر هذه الأمور وبفتح الأسفار الإلهية، كثيراً ما دحضناهم، لكنهم اذ يغيرون أقوالهم وأراءهم مثل الحرباء، يحاولون أن ينسبوا لأنفسهم هذا القول «إذا جاء الشرير جاء الإحتقار» (أم ١٨ : ٢).

❖ **يقصد الآية الأخيرة «أنا الرب لا أتغير»**

وقد وُجدت قبلهم هرطقات كثيرة تجاسرت أكثر مما هو صحيح، فكان الجنون نصيبها، لكن هؤلاء اذ قد حاولوا بكل كلماتهم أن يلغوا الوهية المسيح، جعلوها (أى الهرطقات السابقة) تبدو بارة، لأنهم قد صاروا أكثر اقتراباً من ضد المسيح.

لذلك قطعتهم الكنيسة وحرمتهم، ورغم أننا نحزن فعلاً بسبب هلاك هؤلاء الناس، خاصة هؤلاء الذين بعد أن تعلموا عقيدة الكنيسة، أرتدوا وانتكصوا، إلا أننا لا نتعجب من ذلك لان هذا الأمر عينه قد عانى منه هيمينايس وفيليتس (أى زاغا عن الحق) (٢ تيمو ٢ : ١٧)، وقبلهم يهوذا، الذى رغم أنه تبع المخلص، الا أنه صار خائناً ومرتداً بعد ذلك، وفيما يخص هؤلاء عينهم، فلا تعوزنا تحذيرات منهم، لأن الرب قال قبلاً «أنظروا لا تضلوا، فان كثيرين سيأتون بأسمى قائلين أنى أنا هو والزمان قد قرب، فلا تذهبوا ورائهم» (لو ١٢١ : ٨)، وبولس أيضاً إذا تعلم هذه الأمور من المخلص كتب «فى الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين» (٢ تيمو ٤ : ١).

(٦) لذلك، اذ قد حذرنا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بنفسه، ذاكراً لنا هذه الأشياء برسوله، نحن ـ الذين سمعنا تجديفهم بآذاننا ـ قد قطعنا مثل هؤلاء الناس دوماً، كما قلت، وأعلنا أنهم غرباء عن الكنيسة الجامعة والإيمان، وقد أعلنا الامر إلى تقواكم أنتم شركاءنا فى الخدمة المحبوبين والموقرين، كى لا تقبلوا أحداً منهم، اذا تجرؤا بتهور وأتوا اليكم، وكى لا تثقوا فى يوسابيوس أو فى أى شخص آخر يروج لهم ويكتب عنهم، اذ يليق بنا كمسيحيين أن نبتعد عن كل هؤلاء الذين يتحدثون أو يفكرون فى ضد المسيح رافضين إياهم، كأعداء لله ومهلكين للنفوس، ولا نقل لهم سلام لئلا فى أى وقت نصير شركاء لأعمالهم الشريرة (٢ يو ١٠) كما يوصى المبارك يوحنا.

حيوا الأخوة الذين معكم، الذين معنا يحيونكم.

الموقعون
كهنة الأسكندرية

أنا كوليثوس Coluthus كاهن، أوافق على ذلك المكتوب وأيضاً على خلع آريوس وهؤلاء المدانين بالتجديف معه.

الكسندر	Alexander	كاهن، موافق مثله.
ديسقورس	Dioscorus	كاهن، موافق مثله.
ديونيسيوس	Dionysius	كاهن، موافق مثله.
يوسابيوس	Eusebius	كاهن، موافق مثله.
الكسندر	Alexander	كاهن، موافق مثله.
نيهراس	Nihras	كاهن، موافق مثله.
اربوكراشن	Arpocration	كاهن، موافق مثله.
اغاثوس	Agathus	كاهن، موافق مثله.
نيميسيوس	Nemesius	كاهن، موافق مثله.
لونجوس	Longus	كاهن، موافق مثله.
سليفانوس	Silvanus	كاهن، موافق مثله.
بيروس	Perous	كاهن، موافق مثله.
أبيس	Apis	كاهن، موافق مثله.
بروتيريوس	Proterius	كاهن، موافق مثله.
بولوس	Paulus	كاهن، موافق مثله.
كيروس	Cyrus	كاهن، موافق مثله.

الشمامسة

امـــونيـــوس	Ammonius	شماس، موافق مثله.
مـكـاريـوس	Macarius	شماس، موافق مثله.
بيـــستـــوس	Pistus	شماس، موافق مثله.
أثناسـيـــوس	Athanasius	شماس، موافق مثله.
يومـــينيس	Eumenes	شماس، موافق مثله.
ابولونيـــوس	Apollonius	شماس، موافق مثله.
اوليـمبيـوس	Olympius	شماس، موافق مثله.
ابوثونيـــوس	Apothonius	شماس، موافق مثله.
أثناسـيـــوس	Athanasius	شماس، موافق مثله.
مـكـاريـوس	Macarius	شماس، موافق مثله.
بـــولـــوس	Paulus	شماس، موافق مثله.
بتــــــروس	Petrus	شماس، موافق مثله.
أمبيتيـانوس	Ambytianus	شماس، موافق مثله.
غــــــايـوس	Gaius	شماس، موافق مثله.
الـكـسـنـدر	Alexander	شماس، موافق مثله.
ديونيسيـوس	Dionysius	شماس، موافق مثله.
أغـــــاثـون	Agathon	شماس، موافق مثله.
بوليـبـيـوس	Polybius	شماس، موافق مثله.
ثيـــــوناس	Theonas	شماس، موافق مثله.
مــاركـــوس	Marcus	شماس، موافق مثله.
كـومــودوس	Commodus	شماس، موافق مثله.
سـيـرابيـون	Serapion	شماس، موافق مثله.
نـــيـلـــوس	Nilus	شماس، موافق مثله.
رومــــانـوس	Romanus	شماس، موافق مثله.

كهنة مريوط MAREOTIS

أنا أبولونيوس، كاهن، أوافق على ذلك المكتوب، وأيضاً على خلع آريوس، وهؤلاء المدانين بالتجديف معه.

انجينيوس	Angenius	كاهن، موافق مثله.
أمونيوس	Ammonius	كاهن، موافق مثله.
تيرانموس	Tyranmus	كاهن، موافق مثله.
كوبريس	Copres	كاهن، موافق مثله.
امموناس	Ammonas	كاهن، موافق مثله.
اوريون	Orion	كاهن، موافق مثله.
سيرينوس	Serenus	كاهن، موافق مثله.
ديديموس	Didymus	كاهن، موافق مثله.
هيراكليس	Heraches	كاهن، موافق مثله.
ديوسقورس	Dioscorus	كاهن، موافق مثله.
سوستراس	Sostras	كاهن، موافق مثله.
ثيون	Theon	كاهن، موافق مثله.
بوكون	Boccon	كاهن، موافق مثله.
أغاثوس	Agathus	كاهن، موافق مثله.
اشيلليس	Achilles	كاهن، موافق مثله.
بولوس	Paulus	كاهن، موافق مثله.
ثاليلاوس	Thalelaeus	كاهن، موافق مثله.
ديونيسيوس	Dionysius	كاهن، موافق مثله.

الشمامسة

سيرابيون	Serapion	شماس، موافق مثله.
يسطس	Justus	شماس، موافق مثله.
ديديموس	Didymus	شماس، موافق مثله.
ديمتريوس	Demetrius	شماس، موافق مثله.
موروس	Maurus	شماس، موافق مثله.
الكسندر	Alexander	شماس، موافق مثله.
ماركوس	Marcus	شماس، موافق مثله.
كومون	Comon	شماس، موافق مثله.
تريفون	Tryphon	شماس، موافق مثله.
امونيوس	Ammonius	شماس، موافق مثله.
ديديموس	Didymus	شماس، موافق مثله.
بتولاريون	Ptollarion	شماس، موافق مثله.
سيراس	Seras	شماس، موافق مثله.
غايوس	Gaius	شماس، موافق مثله.
هيراكس	Hierax	شماس، موافق مثله.
ماركوس	Marcus	شماس، موافق مثله.
ثيؤناس	Theonas	شماس، موافق مثله.
سارماتون	Sarmaton	شماس، موافق مثله.
كاربون	Carpon	شماس، موافق مثله.
زيولس	Zoilus	شماس، موافق مثله.

الرسالة إلى الكسندر [1].

بطريرك القسطنطينية

يروى القديس الكسندروس السكندرى فى هذه الرسالة لسميه بطريرك القسطنطينية إنحرافات الأربوسية وكيف أنها من عمل الشيطان، ويحذره من الأريوسيين لئلا يدخلوا إيبارشيته وينشروا تعاليمهم الفاسدة، ويشرح له كيف أنهم يقاومون التعليم الكنسى الرسولى وذلك بأن يجمعوا الآيات الكتابية التى تتحدث عن تدبير السيد المسيح الخلاصى وعن تواضعه واخلائه لأجلنا، متجاهلين تماماً الآيات التى يظهر فيها لاهوته الأزلى ومجده الذى لا يُنطق به، بل أن هؤلاء البائسين قد جرؤا على تقسيم ثوب المسيح الذى لم يقسمه صالبوه.

ويقص على بطريرك القسطنطينية ما اتخذه من إجراءات لمقاومة ودحض هذه البدعة، ويبدأ بوصف له تعاليمهم الغريبة المجدفة.

يقولون - أى الأريوسيين - أنه كان هناك وقت لم يكن إبن الله موجوداً فيه، وأنه لم يكن موجوداً ثم صار موجوداً بعد ذلك، أى عندما خلق، لأن اللّه - هكذا يقولون - خلق كل الأشياء من أشياء ليست موجودة بما فى ذلك إبن الله، وهكذا يعتبرون إبن الله ضمن الخليقة الزمنية، لذلك يستنتجون أنه من طبيعة متغيرة (قابلة للتغيير) وقادر على الفضيلة والرذيلة، وإذ يتمسكون بالقول بأنه «من أشياء ليست موجودة»، يتجاهلون الكتابات المقدسة التى تتحدث عن الوهيته وأزليته والتى تدل على عدم تغير لاهوت (الوهية) الحكمة والكلمة اللذان هما المسيح.

ويمضى المعلم السكندرى قدماً فى تقديم أهم ملامح الفكر الأريوسى، فيقول : أنهم ينادون بأنه يجب أن نُسمِّى نحن أيضاً أبناء لله مثل السيد المسيح لأنه مكتوب «ربيت بنين ونشأتهم» (أش ١ : ٢)، لكن عندما قاومهم مستقيموا

الإيمان وأكملوا لهم باقى الآية «أما هم فعصوا على» والذى لاينطبق بالطبع على طبيعة المخلص، اذ هو من طبيعة غير متغيرة، ألقوا عنهم كل تقوى وقالوا أن الله اذ كان يعرف ويرى مسبقاً أن إبنه لن يعصاه، اختاره من بين الكل، فهو(أى الآب) لم يختار الإبن لان فى طبيعته ما يميزه عن باقى الأبناء، فليس هناك أبناء لله بالطبيعة، ولا اختاره لأن له صفة خاصة مميزة له ، بل أن الله اختاره وهو من طبيعة متغيرة Mutable (أى الإبن!!) بسبب دقة واستقامة سلوكياته وعمله، والتى لم تمل قط إلى الشر، ويستطرد الأريوسيون فى انحرافهم فيقولون أنه لو كان بولس وبطرس قد جاهدا من أجل أن يُختارا كما يؤكدوا على هذه البدعة المجنونة أخذوا يتلاعبون بالكتاب المقدس مستشهدين بما قيل فى سفر المزامير عن السيد المسيح «أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز ٤٥ : ٧).

وبعد أن عرض القديس أساسيات الفكر الأريوسى، يبدأ فى تفنيدها ودحضها، ويستهل رده بالاستشهاد بالإنجيلى الحبيب يوحنا الرائى الذى أعلن بوضوح أن إبن الله لم يُخلق «من أشياء ليست موجودة» (أى لم يُخلق من العدم) وأنه «لم يكن هناك وقت كان هو فيه غير موجود» $، وذلك عندما يكتب عنه قائلاً «الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب» فقد قصد يوحنا البتول أن يعلن أن الآب والإبن هما أثنان لا ينفصلان أبداً الواحد عن الاخر، لذلك يتحدث عن الإبن يوصفه كائناً فى حضن الآب.

ويرد الكسندروس على القول الأريوسى بأن الإبن يُحسب ضمن الأشياء المخلوقة «من أشياء ليست موجودة» بالرجوع إلى قول يوحنا أيضاً الذى يقول

* The two tests or criteria of Arianism. The Arian Confirmed
1)The formula εζ ουκ οντων and
2)The ην ποτε οτε ουκ ην.

«كل شيء به كان» فقد قدم لنا الإنجيلى الإبن فى حقيقته وذلك بقوله «فى البدء عند الله، كل شىء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» فاذا قد خُلقت به كل الأشياء، كيف يمكن القول بانه هو نفسه، الذى يعطى الأشياء المخلوقة وجودها، كان فى وقت ما غير موجود، لأنه يجب أن لا يُقال عن الكلمة الذى يخلق أنه من نفس طبيعة الأشياء المخلوقة، لأنه كان فى البدء وكل شىء به كان.

ويستطرد الكاتب فى رده فيقول أن ذلك الكائن الموجود that which is يختلف تماماً عن تلك الأشياء المخلوقة من العدم، لأن ذلك يظهر أنه لم يكن هناك فاصل زمنى بين الآب والإبن، لأنه لا يمكن ولا حتى للفكر أو الذهن أن يتخيل أى فاصل زمنى بين الآب والإبن، أما كون العالم قد خُلق من أشياء ليست موجودة (أى من العدم)، فيوضح أنه من أصل وجوهر أحدث ولاحق زمنياً، وهو (أى العالم) يأخذ هذا الجوهر من الآب بالإبن (أى عن طريق الإبن).

لذلك عندما تأمل يوحنا الكلى التقوى فى جوهر الكلمة الالهى من على بعد عظيم، رأى أن الكلمة يفوق كل فهم للأشياء المصنوعة، وإنه من غير اللائق أن نتحدث عن ميلاد الإبن أو عن خلقة العالم، ولم يجرؤ على أن يتحدث عن اللّه الخالق بنفس الألفاظ التى يتحدث بها عن الأشياء المخلوقة، وهنا يؤكد الكسندروس أن هذا لا يعنى أن الكلمة غير مولود لأن الآب وحده غير مولود، بل لأن الجوهر الذى لا يُدرك الذى للإبن الوحيد الجنس، يفوق كل فهم الإنجيليين بل والملائكة أيضاً.

وهنا يؤكد الكسندروس على سمو المعرفة الإلهية على الفهم البشرى، ويرى

أنه يجب أن لا يُعد تقياً ذاك الذى يحاول أن يبحث فى الأمور الفائقة، لأنه اذا كانت معرفة أمور أخرى - وهى أقل بدرجة لا تُقارن من معرفة الالهيات - مخفية عن الفهم البشرى كما يقول الرسول بولس «ما لم تر عين وما لم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو ٢ : ٢٩) وأيضاً كما قال الله لابراهيم أنه لا يستطيع أن يحصى عدد نجوم السماء، فكيف اذاً يمكن لأى أحد أن يفحص جوهر الكلمة الالهى إلا إذا كان قد مسّه جنون؟!

ومخلصنا الصالح نفسه أعلن لنا أن هذا أمر يفوق طبيعتنا تماماً وأن الآب وحده يعرف السر الإلهى إذ يقول « ليس أحد يعرف الإبن إلا الآب» (مت٢٤:١١).

ويشرح البابا الكسندروس السكندرى ومعلم أثناسيوس العظيم أن تعبير «من أشياء ليست موجودة» نفسه يظهر جنون ولا معقولية القول بأن الإبن قد خُلق من أشياء ليست موجودة أى من العدم وأنه أتى إلى الوجود فى الزمان، لأن التعبير «لم يكن موجوداً Wasnot» يحتم أنه أما أن يُعتبر فى زمان ما أوفى دهر ما، لكن اذا كان صحيحاً أن «كل شيء به كان»، اذن ينتج بالضرورة أن كل دهر وكل زمن وأيضاً كلمة «عندما When» التى يقولون أنه «لم يكن موجوداً» فيها، هى كلها قد كانت به، ويتساءل الكاتب : أليس امراً منافياً للعقل أن يُقال عن ذاك الذى خلق الأزمنة والدهور والفصول، التى فيها يُقال عن ذاك الذى خلق الأزمنة والدهور والفصول، التى فيها يُقال أنه «لم يكن موجوداً»، أنه كان هناك وقت لم يكن هو موجوداً فيه؟! أنها لعلامة على جهل عظيم أن يُقال أن ذاك الذى هو علة كل الأشياء كان لاحقاً زمنياً لأصل هذه الأشياء، فبحسب تعاليمهم، الفترة الزمنية التى يقولون أن الآب لم يكن قد صنع فيها الإبن بعد، هى متقدمة وسابقة زمنياً على حكمة اللّه التى خلقت كل الأشياء، والكتاب المقدس بالنسبة لهم يتحدث كذباً عندما يسميه «بكر كل

خليقة» وكذلك قول بولس الرسول «الذى جعله وارثاً لكل شيء. فيه خلق الكل فى السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق، الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو ١ : ١٦، ١٧).

وينتقل اللاهوتى البارع إلى نقطة أخرى فى رده على الآريوسية، فيشرح أنه من الضرورى أن نقول أن الآب هو دوماً آب، وهو يُسمى آب لأن إبنه معه دوماً، فلو لم يوجد إبن لما سُمى آب دوماً، ولأن الإبن معه دوماً، لذلك الآب كامل، وقد وُلد ابنه الوحيد الجنس لا فى الزمان ولا بعد فترة فاصلة (تفصل بينه وبين الإبن) ولا من الأشياء الغير موجودة... كيف اذاً لا يُعد عدم تقوى وتجديف أن يُقال أن حكمة الله كانت فى وقت ما غير موجودة، أو أن قوة الله فى وقت ما لم تكن موجودة؟ لأن ذاك الذى ينكر أن بهاء المجد كان موجوداً، ينكر أيضاً وجود النور الأصلى الذى هو بهاؤه، وإذا لم تكن صورة الله موجودة دوماً، فمن الواضح أنه لم يكن موجوداً دوماً.

أما عن فرادة بنوة السيد المسيح للآب، فيؤكد الكسندروس أن المرء يستطيع أن يرى أنها مختلفة ومتفردة تماماً عن بنوة الآخرين، فكما أن جوهره الغير المدرك يفوق تفوقاً لا يُقارن كل الأشياء الأخرى التى أعطاها هو وجودها، كذلك أيضاً بنوته، التى بحسب طبيعة لاهوت الآب، تفوق تفوقاً لا يُنطق به بنوتنا نحن الذين تبنانا هو.

فسيدنا المسيح من طبيعة غير متغيرة، كاملة فى كل شيء، غير ناقصة فى شيء، لأنه أي تقدم يمكن أن تتقدمه حكمة الله؟ أى نمو يمكن أن ينموه الحق نفسه وكلمة الله؟ كيف يمكن للحياة والنور الحقيقى أن يتحسن ويصير أفضل؟ لأنه لو حدث ذلك فكم سيكون غريباً أن الحكمة تكون عرضة للحماقة، أو أن

قوة الله يرافقها الضعف، أو أن العقل يظلم بالجهل، أو أن الظلمة تُخلط مع النور الحقيقى؟ والرسول بولس يقول «أى شركة للنور مع الظلمة، أو أى اتفاق للمسيح مع بليعال».

فالبشر قد أُعطوا بركته كى ينموا ويزدادوا فى الفضائل ووصايا الناموس، وكى لا يخطئوا، أما ربنا يسوع المسيح فهو إبن الله بالطبيعة، ولذلك يعبده الكل، أما البشر، فاذا يتركون عنهم روح العبودية، ينالون بالأعمال الصالحة وبالنمو روح التبنى ويباركهم ذاك الذى هو الإبن بالطبيعة فيصيرون أبناء بالتبنى.

وقد أعلن القديس بولس لسان العطر بنوة المسيح الخاصة الطبيعية والفائقة لله الآب اذ يقول «الذى لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا» (رو٨ :٣٢) نحن الذين لسنا أبناءه الطبيعيين، وإذ أراد الآب أن يميزه عن هؤلاء الذين ليسوا أبناء بالطبيعة قال أنه إبنه، وفى الإنجيل نقرأ «هذا هو أبنى الحبيب الذى به سررت» (مت ٣ : ١٧) وفى المزامير يقول المخلص «الرب قال لى أنت إبنى» (مز ١١ : ٧) وبذا يعلن أنه إبن حقيقى طبيعى وأنه ليس هناك أى أبناء أخرين بالطبيعة، وأيضاً ما معنى «من رحم الفجر لك طل حداثتك» (من الرحم قبل الصبح ولدتك) (مز ١١٠ : ٣)؟ ألا يعنى بوضوح البنوة الطبيعية للميلاد الأبوى والتى لم ينالها بفضل دقة سلوكياته ولا بممارسة الفضيلة ولا بالنمو فيها، بل بالطبيعة؟ لذلك إبن الله الوحيد له بنوة أبدية دائمة، أما تبنى الأبناء العاقلين فهو ليس بالطبيعة، لكن يُعطى لهم باستقامة حياتهم، وهى بنوة متغيرة كما يقول الكتاب المقدس «أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء» (تك ٦ : ٢) وأيضاً يقول الله بأشعياء النبى «ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا علىّ»(أش ١ : ٢).

ومرة ثانية يذكر البابا الكسندروس حيلة الأريوسيين فى نشرهم فكرهم

الفاسد، فهم يجمعون النصوص الكتابية التى تتحدث عن آلام المسيح الخلاصية وعن كل الأمور التى خضع لها المخلص من أجلنا فى تدبيره الخلاصى، ويقدمونها لينكروا لاهوته الفائق الأزلى، أما الكلمات التى تدل على عظمته ومجده الطبيعى فيغفلونها، مثل قول السيد المسيح «أنا والآب واحد» وهو لا يعنى بذلك أنه هو الآب، ولا يقول أن الأقنومين هما واحد، بل أن الإبن يحفظ بدقة شبه الآب المعلن، بقدر ما هو شبهه فى كل شىء وهو صورة الآب المطابقة له تماماً.... وأيضاً عندما كان فيلبس يريد أن يراه، أعلن الرب ذلك بوضوح اذ عندما سأله فيلبس «ارنا الآب» اجاب قائلاً «الذي يرانى قد رأى الآب» لذلك من يكرم الإبن يكرم الآب أيضاً، وكل كلمة تجديف تطاولوا على أن ينطقوها ضد الابن، قد قالوها أيضاً ضد الآب.

ويكشف القديس عن جهل وحماقة الآريوسية عندما يوضح أنهم يقولون أن هناك أثنين غير مولودين unbegottens (يقصدون الآب والابن)، لأنهم بجهل يؤكدون أن أحد الأمرين لابد أن يُقال : أما أنه من أشياء ليست موجودة (أى خُلق من العدم) وأما أن هناك أثنين غير مولودين، ولا يعرف هؤلاء الجهلة كم عظيم هو الفرق بين الآب غير المولود وبين الأشياء التى خلقها من العدم، وكذلك لا يعرفون الطبيعة الوحيدة المولودة لله الإبن، الكلمة الذى به خلق الآب كل شيء من العدم، المولود من الآب الحقيقى نفسه كما شهد بذلك «كل من يحب الوالد، يحب المولود منه أيضاً» (يو ٥ : ١).

وهنا يقدم الكسندروس إيمان الكنيسة الرسولية بأن هناك آب واحد فقط غير مولود، لم يأخذ علة وجوده أو كيانه من أحد، غير متغير، هو دوماً كما هو بلا زيادة ولا نقصان، الذى أعطانا الناموس والأنبياء والأناجيل، الذى هو رب البطاركة والرسل وكل القديسين.

كذلك؛ نؤمن برب واحد يسوع المسيح إبن الله الوحيد، الذى لم يُولد من

أشياء ليست موجودة (من العدم، بل من الآب، وميلاده هذا غير جسدى، بلا إفتراق أو انفصال عن الآب كما ظن سابليوس وڤالنتينوس، بل بطريقة لا تُدرك ولايُنطق بها... فليس هناك من يستطيع أن يفحص أو يدرك جوهر الابن، تماماً كما أنه ليس هناك من يستطيع أن يدرك؛ الآب، لأن طبيعة الكيانات العاقلة - أى البشر - لا تستطيع أن تعرف أو تدرك الميلاد الالهى الذى من الآب.

والإبن مثل الآب غير متغير، لا يعوزه شيء، إبن كامل، ويختلف عن الآب فى أمر واحد فقط، ذلك أنه مولود أما الآب فغير مولود، لأن الإبن هو صورة الآب الدقيقة جداً ولا يختلف عنه فى أى شىء، فالإبن من الآب، وهو كائن وموجود دوماً لأنه «بهاء مجده ورسم جوهره» (عب ١ : ٣).... ويجب أن لا يعتقد أحد من كلمة «دوماً» أنه غير مولود، لأنه لا كلمة «كان» ولا «دوماً» ولا «قبل كل العوالم» ترادف أو تساوى كلمة «غير مولود»، فالعقل البشرى لايستطيع أن يجد كلمة أخرى تعبر عن غير المولود، فيجب أن لا يتوقع أحد من شفاه مائته كلمات تفوق المقدرة البشرية.

لذلك يجب أن تعطى الآب غير المولود الكرامة اللائقة به بإعترافنا بأنه ليس هناك سبب أو علة لوجوده، أما الإبن فنعطيه كرامته اللائقة بإعترافنا بانه مولود من الآب ميلاداً أزلياً بلا بداية، ونقدم له العبادة وبتقوى ووقار نستخدم الكلمات «كان» و«دوماً» و«قبل كل العوالم» فى الحديث عنه، ولا نرفض على الأطلاق لاهوته، لكن يجب أن نقول أن الآب وحده غير مولود.

ثم يكمل القديس الكسندروس عرضه لإيمان الكنيسة المقدسة، فيقول أننا نعترف بالروح القدس الواحد تماماً كما تعُلمنا الأسفار الإلهية، الذى عمل فى الرجال القديسين فى العهد القديم والمعلمين الإلهيين فى العهد الجديد، وأيضاً نعترف بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، لا يمكن أبداً أن يقوى عليها أحد،

رغم أن العالم سيسعى ليحاربها ويقاومها، لكنها منتصرة على كل تجديف يصوبه الهراطقة ضدها، لأن عريسها الصالح قد أعلن لنا «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦ : ٣٣).

ثم يعترف البطريرك القديس بقيامة الأموات التى كان ربنا يسوع المسيح أول ثمارها وبكرها، الذى كان له جسد من مريم والدة الإله، ليس فى المظهر فقط بل فى الحقيقة، الذى فى ملء الزمان أتى إلى الجنس البشرى ليميت الخطية، وصُلبت ومات لكن دون أن يُمس لاهوته بأى أذى أو ضرر، وقام من الأموات وصعد إلى السموات وجلس عن يمين العظمة.

ويختم رسالته بأن يؤكد على أن هذه هى عقيدة الكنيسة المقدسة التى نتمسك بها، والتى يخالفها أريوس وأشيلليس Achilles مع اتباعهما، ويؤكد ثانية على أن لا يقبل أحد هؤلاء المبتدعين الهراطقة، وفى الختام يحيى الأخوة ويصلى لأجلهم كى يكونوا أقوياء فى الرب وكى ينتفع هو بمحبتهم للمسيح.

عن النفس والجسد[1]
وآلام الرب

يبدأ القديس الكسندروس عظته بالتأكيد على أهمية العمل بالوصية وليس فقط الأستماع لها، ويحث سامعيه على التوبة والتطهر من كل إرادة شريرة وعدم إيمان لأنهما شيئان رديئان جداً وكلاهما مضاد للبر، لأن الإرادة الشريرة تضاد المحبة، وعدم الإيمان يضاد الإيمان، تماماً كما أن المرارة تضاد الحلاوة، والظلمة النور، الشر الخير، الموت الحياة، والكذب الحق... لذلك لابد أن يتمسك الأنسان المسيحى بالإيمان والمحبة التى يُظهر ثمرها «ليس بالكلمات فقط، بل أيضاً بالأعمال فى كل صبر صالح من أجل الله».

ويشرح البطريرك السكندرى أن الرب نفسه أظهر محبته نحونا بالأعمال وليس فقط بالأقوال، وذلك فى خلقتنا وفدائنا.

«الرب نفسه أظهر محبته نحونا ليس فقط بالكلمات بل وأيضا بالأعمال، إذ بذل نفسه ثمناً لخلاصنا، وبالإضافة إلى ذلك، نحن لم نُخلق ـ مثل باقى العالم ـ بالكلمة فقط، لكن أيضاً بعمل، لأن الله أوجد العالم بقوة كلمة واحدة، أما نحن فخلقنا بقوة كلمته وعمله، لأن الله لم يكتف بالقول «نعمل الأنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١ : ٢٦) بل أن العمل تلى القول لأنه أخذ تراباً من الأرض وصنع الإنسان منه على صورته وشبهه، وفيه نفخ نسمة الحياة وبهذا صار أدم نفساً حية».

ثم انتقل القديس بعد ذلك إلى الحديث عن السقوط واثاره على الإنسان وما نتج عنه من انفصال للنفس عن الجسد، ودخول عنصر الفساد فى الطبيعة البشرية.

وبالطبع بعد الحديث عن العبودية للموت وفساد الطبيعة البشرية، شرح البابا الكسندروس كيف افتقد الله خليقته التى صنعها على صورته كشبهه،

وذلك بأن ارسل ابنه ليخلص ما قد هلك :

«لذلك أرسل الله من السماء إبنه اللاجسدى (اللوغوس) ليتجسد فى رحم العذراء، وهكذا صار إنساناً مثلكم تماماً ليخلص الأنسان الضال».

ويتساءل عن سبب موت المسيح، ولكنه يجيب فى الحال «المسيح تألم لنحيا إلى الأبد» وبعد ذلك يستعرض عدة تساؤلات أخرى غاية فى الأهمية :

«لماذا كان يجب أن يموت المسيح؟ هل صنع أى شىء يستحق الموت؟ لماذا لبس جسداً وهو المكتسى بالمجد؟ واذ هو الله، لماذا تأنس؟ وطالما هو يحكم فى السماء، لماذا نزل إلى الأرض وتجسد فى رحم العذراء؟ أنى أتساءل : أى ضرورة حملت الله على النزول إلى الأرض، وعلى أن يتخذ جسداً، أن يُلف فى قماط فى مزود، أن يتغذى بلبن من الصدر، وأن يعتمد من خادم، وأن يُرفع على الصليب، وأن يُوضع فى قبر أرضى، وأن يقوم فى اليوم الثالث من بين الأموات؟».

ويجيب المعلم السكندرى قائلاً أن ربنا ومخلصنا تألم من أجل الانسان كى يحرره من الموت، فلأجلنا احتمل الحزن والخزى والآلامات بل وحتى الموت نفسه والدفن.

ويتعجب مما صنعه شعب إسرائيل بمخلصه المحسن إليه : «انظروا يا بنى البشر أية مجازاة أعطاه إسرائيل! لقد ذبح المحسن إليه، مقدماً الشر مقابل الخير، الضيق مقابل السرور، الموت مقابل الحياة، لقد ذبحوه بتسميره على الخشبة وهو الذى أعاد الحياة إلى موتاهم وشفى مقعديهم، وطهر برصهم، وأعطى النور لعميانهم، أنظروا يا بنى البشر! أنظروا يا كل الناس هذه العجائب الجديدة! لقد علقوه على الخشبة وهو الذى يبسط الأرض، سمروه بمسامير وهو الذى يثبت أساس العالم، قيدوه، وهو الذى يضبط (يثبت) السماء، ربطوه وهو الذى يغفر ويحل الخطاة، قدموا له خلاً ليشرب وهو الذى سقاهم البر، أعطوه مرارة وهو الذى قدم لهم خبز الحياة، جرحوا يديه وقدميه وهو الذى شفى أياديهم

وأقدامهم، أغمضوا عينيه بقوة وهو الذى أعاد إليهم البصر، وضعوه فى القبر، وهو الذى أقام أمواتهم إلى الحياة».

ويشرح القديس كيف داس ربنا الموت وأقام الصليب علامة نصرة، وجسده مرفوع عليه، وعندئذ تعجبت القوات السماوية ودُهشت الملائكة وارتعدت عناصر الطبيعة، وتزلزلت كل الخليقة بينما كانت تنظر إلى «هذا السر الجديد» الذى كان يتم فى العالم وفى مناجاة صاغها البابا القديس على لسان الأرض وقت أن دُفن فيها خالقها وسيدها، يقول :

«يا ربى، أغفر لى أثامى، خلصنى من غضبك، حلنى من لعنتك، لأنى تلقيت دم البار، ومع ذلك لم أغطى أجساد البشر ولا جسدك أنت! ما هو بالتفصيل هذا السر العجيب؟ لماذا يا رب نزلت إلى الأرض إلا من أجل الأنسان الذى تشتت فى كل مكان، اذ فى كل مكان تشتت صورتك الحلوة؟ لكن إذا قلت كلمة واحدة فقط ففى الحال سوف تقف كل الأجساد أمامك والأن اذ نزلت إلى الأرض، وسعيت وراء الأعضاء الذين جبلتهم، تعهد الانسان الذى هو ملك لك Thine Own، تلقى ذاك الذى أودع اليك، أسترد وأصلح صورتك، آدمك "Thine Adam.

ثم يختتم قديسنا العظيم عظته بالحديث عن قيامة الرب وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين العظمة :

«ثم قام الرب فى اليوم الثالث بعد موته، وهكذا أعطى الأنسان معرفة الثالوث، وخلُصت كل شعوب الجنس البشرى بالمسيح، فواحد صار تحت الحكم، وآلاف كثيرة غُفرة لهم، وإذ صار فى شبه الأنسان الذى خلصه، صعد إلى علو السماء ليقدم أمام أبيه، لا ذهب ولا فضة ولا حجارة كريمة، بل الانسان الذى شكله بحسب صورته وشبهه، والآب اذ يقيمه عن يمينه، أجلسه على عرش فى العلى، وجعله دياناً للناس، وقائد الجيش الملائكى، وقائد مركبة الشاروبيم، إبن أورشليم الحقيقية، ختن العذراء، ملك إلى دهر الدهور.... آمين».

أهم ملامح فكر

القديس الكسندروس اللاهوتى

نجمل هنا أهم ملامح فكر البابا الكسندروس السكندرى بحسب ما جاء فى رسالتيه وعظته :

(١) الإبن الوحيد كائن وموجود منذ الأزل، ولم يكن هناك وقت كان فيه الإبن غير موجود، وهو لم يُخلق من أشياء غير موجودة (أى من العدم).

طالما أن الإبن هو كلمة أو حكمة أو عقل الله، فان القول بانه كان هناك وقت كان فيه الأبن غير موجود، يعنى أن الله كان فى وقت من الأوقات بدون عقل أو حكمة.

تعبير «من أشياء غير موجودة» يظهر حماقة الفكر الأريوسى، فتعبير «لم يكن موجوداً» لابد أن نفهمه فى زمان ما، لكن اذا كان «كل شيء به كان» أى أن الزمن نفسه قد خُلق بالإبن، فكيف يُقال أن خالق الأزمنة ـ التى يُقال أنه لم يكن موجوداً فيها ـ كان فى وقت ما غير موجود ؟ إذا كان الأبن هو الذى يعطى الأشياء وجودها، فكيف حدث أن كان هو فى وقت من الأوقات غير موجود ؟

الإبن موجود دوماً مع الآب، فلو لم يوجد الإبن لما دُعى الآب «آب»، فهو آب لأن إبنه معه دوماً، وكما أن من ينكر أن بهاء المجد كان موجوداً، أنما ينكر أيضاً وجود النور الاصلى، كذلك من ينكر أن صورة الله كانت موجودة دائماً، ينكر أيضاً أن الله نفسه كان موجوداً دائماً.

(٢) بنوة الإبن للآب تختلف تماماً عن بنوتنا نحن له، فكما أن جوهره يفوق تفوقاً لا يُقارن كل الأشياء الأخرى، كذلك أيضاً بنوته الطبيعية لله الآب تفوق

بنوتنا نحن له، فالمسيح أن الله بالطبيعة، أما نحن فإبناء لله بالتبنى، ولأن المسيح إبن الله بالطبيعة، لذلك يعبده الكل، أما نحن فُنعطى منه روح التبنى، اذاً لسنا أبناء لله كما المسيح.

(٣) الإبن من طبيعة غير متغيرة، لأنه أى تقدم يمكن أن يتقدمه حكمة الله؟ أو أى نمو يمكن أن ينموه الحق نفسه وكلمة الله؟ وكما يقول بولس الرسول «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد».

(٤) الإبن يعرف الآب معرفة كاملة اذ قال «كما أن الآب يعرفنى وأنا اعرف الآب»، فطالما أن الآب يعرف الإبن معرفة كاملة، فمن الواضح أن الإبن يعرف الآب معرفة كاملة.

(٥) الإبن ليس من جوهر مختلف عن جوهر الآب، بل هو صورته الكاملة وبهاء مجده.

(٦) الآب والإبن ليسا أقنوماً واحداً بل أقنومين، والإبن هو صورة الآب، لذلك قال «الذى رأنى فقد رأى الآب».

(٧) الإبن وحده مولود، أما الآب فغير مولود، ومن الخطأ أن نقول أن الإبن غير مولود، كما أنه من الخطأ أن نقول أن الآب مولود.

(٨) الإبن مولود من الآب ميلاد غير جسدى، بلا إفتراق أو إنفصال عن الآب بل بطريقة لا تُدرك ولا يُنطق بها، وليس هناك أى فاصل زمن بين الآب والإبن، لكن الإبن شريك مع الآب فى الأزلية وهو كائن فى حضنه على الدوام بلا إنفصال.

(٩) جوهر وطبيعة الله الإبن يفوق الفهم البشرى المحدود، فالمعرفة الإلهية تسمو على العقل البشرى، ومخلصنا نفسه أعلن «ليس أحد يعرف الإبن إلا

الآب»، وإذا كان هناك أمور أقل بدرجة لا يُقارن من الأمور الإلهية، ومع ذلك مخفية وعالية على الفهم البشرى، فكم بالأكثر معرفة جوهر الإبن الوحيد.

المصادر والمراجع

السيرة :

1 - Ruf., 1,4.

2 - Soz., II, 17.

3 -Dean stanely, "Lect., East" p. 264.

كتاباته :

1 - Epiphan., Haer., 69,4.

2 -Hist. eccl., 1,4.

3 -Hist. eccl., 1,6.

4 -Hist. Concil. NiC.2.3.

5 -See :Quasten, Patrology, vol. I, p.243f.

الرسالة المسكونية :

1 - Anti - Nicene Fathers, vol. vi, p 296 - 299.

العظة عن النفس والجسد وآلام الرب :

1 - Anti - Nicene Fathers, vol. vi, p 299 - 302.

الفهرس